

# القضية الفلسطينية

## خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة



تأليف  
أ. د. محسن محمد صالح

طبعة مزيدة ومنقحة 2022



## **الفصل الأول**

**خلفيات القضية الفلسطينية**

**حتى سنة 1918**



## خلفيات القضية الفلسطينية حتى سنة 1918

### مقدمة:

ثلاثة جوانب تجعل القضية الفلسطينية القضية الأبرز التي شغلت، وما تزال تشغل، العالم العربي والإسلامي:

الجانب الأول: طبيعة الأرض بقديسيته وبركته، ومركزيتها في قلوب العرب والمسلمين؛ ومكانتها لدى أتباع الديانات السماوية. وموقع الأرض الاستراتيجي في قلب العالم العربي وقلب العالم الإسلامي.

والجانب الثاني: طبيعة العدو بادعاءاته العقائدية والتاريخية، وبروحه الإحلالية التوسعية، التي تسعى لطرده شعب فلسطين، وإلغاء حقوقه الأصيلة في أرضه ومقدساته.

والجانب الثالث: طبيعة التحالف الغربي - الصهيوني الذي هدف أساساً إلى تمزيق الأمة الإسلامية، وإضعافها وإبقائها مفككة الأوصال، تدور في فلك التبعية للقوى الكبرى.

ولذلك يمثل التحدي اليهودي الصهيوني، الذي انزاع في فلسطين، قلب العالم الإسلامي، بأشكاله العسكرية والسياسية والحضارية، أبرز التحديات التي تواجه الأمة المسلمة، وسعيها نحو التحرر والوحدة والنهضة، لاسترداد مكانتها وريادتها بين الأمم.

وليس بخاف أن هذه القضية لم تكن يوماً قضية الفلسطينيين وحدهم؛ لأن إنشاء الكيان اليهودي - الصهيوني على أرض فلسطين لم يكن إلا مركزاً متقدماً لتنفيذ هذا البرنامج الغربي - الصهيوني. وسواء التقى ذلك مع أهداف أخرى من حل مشكلة اليهود في أوروبا، أم التعاطف الديني مع رغباتهم، فإن الحقيقة الصارخة تكشف مدى الظلم الذي يرتكبه الغرب في تهجير شعب فلسطين وتدمير كيانه، وتعريض العالم العربي والإسلامي للخطر، والاستقرار العالمي للانفجار، في سبيل تحقيق أهدافهم تلك، في عالم يزعمون فيه دعوتهم للسلام العالمي وحقوق الإنسان.

## أولاً: فلسطين:

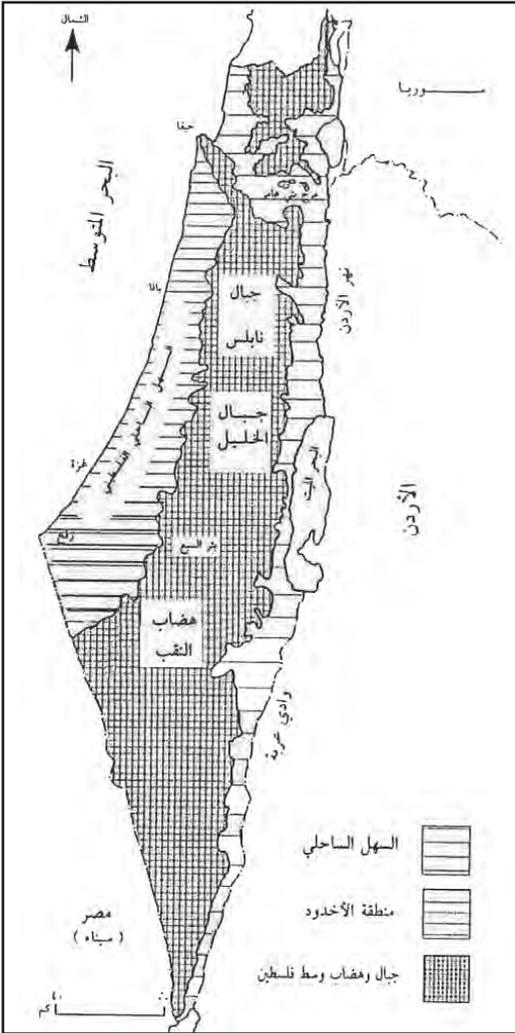
يطلق اسم فلسطين على القسم الجنوبي الغربي لبلاد الشام، وهي الأرض الواقعة غربي آسيا، على الساحل الشرقي للبحر المتوسط. ولفلسطين موقع استراتيجي مهم، إذ تُعدُّ صلة الوصل بين قارتي آسيا وإفريقيا، ونقطة التقاء جناحي العالم الإسلامي.

وقد سكن الإنسان أرض فلسطين منذ عصور موعلة في القدم، كما تدل الحفريات والآثار، وشهدت أرضها مراحل التطور الإنساني الأولى في التحول من الرعي إلى الزراعة، كما أن أول مدينة جرى تشييدها في التاريخ هي مدينة "أريحا" الواقعة شمال شرقي فلسطين وذلك نحو سنة 8000 ق.م حسبما يذكر علماء الآثار.

وأقدم اسم معروف لهذه الأرض هو "أرض كنعان": لأن أول شعب سكن هذه الأرض ومعروف لدينا تاريخياً هم "الكنعانيون"، الذين قدموا من جزيرة العرب نحو 2500 ق.م. واسم فلسطين هو اسم مشتق من اسم أقوام بحرية، لعلها جاءت من غرب آسيا الصغرى ومناطق بحر إيجه نحو القرن الثاني عشر ق.م، وورد اسمها في النقوش المصرية باسم "ب ل س ت"، وربما أضيفت النون بعد ذلك للجمع، وقد سكنوا المناطق الساحلية، واندمجوا بالكنعانيين بسرعة، فلم يبقَ لهم أثر مميز سوى أنهم أعطوا الأرض اسمهم<sup>1</sup>.

أما أرض فلسطين بحدودها الجغرافية المتعارف عليها فلم تتحدّد بدقة إلا في أيام الاحتلال البريطاني لفلسطين، وخصوصاً خلال الفترة 1920-1923. وقد ظلت حدود أرض فلسطين تضيق وتتسع عبر التاريخ، غير أنها ظلت تعبر بشكل عام عن الأرض الواقعة بين البحر المتوسط وبين البحر الميت ونهر الأردن. وفي العهد الإسلامي قُسمت بلاد الشام إلى "أجناد"، وكان جند فلسطين يمتد من رفح على الحدود مع سيناء المصرية إلى اللجون التي تقع على بعد 18 كم شمالي غرب مدينة جنين. وأياً كانت التقسيمات في العهود الإسلامية المختلفة، فإن فلسطين ظلت جزءاً من بلاد الشام، ولم تكن مثل هذه التقسيمات توسيعاً أو تضيقاً لتغيّر شيئاً من حقيقة شعور أبنائها بأنهم أبناء أمة مسلمة واحدة، وأن ولاءهم للحكم لا يهتز ما دام مسلماً حقاً. وعلى أي حال، فإن مساحة فلسطين تبلغ 27,009 كم<sup>2</sup> وفق التقسيمات المعاصرة<sup>2</sup>.





• جغرافية فلسطين

وتتمتع فلسطين بمناخ معتدل هو مناخ البحر المتوسط، وهو مناخ يشجع على الاستقرار والإنتاج. ويمكن أن تقسم فلسطين إلى ثلاثة قطاعات رئيسية، هي السهل الساحلي والمرتفعات الجبلية الوسطى والأخدود الأردني. والسهل الساحلي منطقة تركز غالب الفلسطينيين، حيث الموانئ ومراكز التجارة والنشاط الاقتصادي والزراعي. وتشمل المرتفعات الجبلية الوسطى جبال الجليل ونابلس والخليل وهضبة النقب، وأعلى جبالها ارتفاعاً هو جبل الجرمق شمال فلسطين الذي يبلغ ارتفاعه 1,207 أمتار. وقد سكن في هذه المرتفعات الفلاح الفلسطيني منذ آلاف السنين وزرعها بالحبوب والفواكه والخضار، ورعى الماشية. أما الأخدود الأردني، حيث يجري نهر الأردن ليصب في البحر الميت، فهو يُعدُّ أكثر المناطق انخفاضاً عن مستوى سطح البحر من أي مكان آخر على وجه الأرض، حيث يصل الانخفاض إلى نحو 400 متر تحت سطح البحر، وهي مناطق تتميز بحرارتها طوال العام، وتشتهر بزراعتها للنخيل والموز والخضروات.

## ثانياً: فلسطين في الأديان السماوية:

لفلسطين أهمية خاصة لدى أتباع مختلف الديانات السماوية (الإسلام والنصرانية واليهودية)، والذين يشكلون نحو 55% من سكان العالم.

### 1. مكانة فلسطين الإسلامية:

لأرض فلسطين مكانة عظيمة في نفوس المسلمين فهي:

- أرض مقدسة بنص القرآن الكريم ﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾<sup>3</sup>.

• أرض مباركة بنص القرآن الكريم ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ ﴾<sup>4</sup>، وقوله تعالى: ﴿ وَسَلِّمَنَّ الرَّيْحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَنَيْنَا فِيهَا ﴾<sup>5</sup>.

• وفيها المسجد الأقصى المبارك، أول قبلة للمسلمين، وثالث المساجد مكانة في الإسلام ويُسْنُّ شدُّ الرحال إليه، والصلاة فيه تعدل 500 صلاة عما سواه من المساجد، قال رسول الله ﷺ: ” لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى“<sup>6</sup>، وقال ﷺ: ” الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة“<sup>7</sup>.

• وفلسطين أرض الأنبياء ومبعثهم، عليهم السلام، فعلى أرضها عاش إبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف وداود وسليمان وصالح وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ممن ورد ذكرهم في القرآن، كما زارها محمد ﷺ. وعاش على أرضها العديد من أنبياء بني إسرائيل، ممن لم يرد ذكرهم في القرآن، عندما كانت تسوسهم الأنبياء، وممن ورد ذكرهم في الحديث الصحيح يوشع ﷺ.

• وفلسطين أرض الإسراء، فقد اختار الله سبحانه المسجد الأقصى ليكون مسرى رسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ومنه كان معرجه إلى السماء، فشرّف الله سبحانه هذا المسجد وأرض فلسطين تشرifaً عظيماً. وهناك في المسجد الأقصى جمع سبحانه الأنبياء حيث أمّم رسول الله في الصلاة، دلالة على استمرار رسالة التوحيد التي جاء بها الأنبياء، وعلى انتقال ميراث الأنبياء والإمامة وأعباء الرسالة إلى الأمة الإسلامية.

• وفي الحديث الصحيح أن بيت المقدس هي ”أرض المحشر والمنشر“<sup>8</sup>.  
• وبلاد الشام، وفلسطين جزء منها، هي عقر دار الإسلام وقت اشتداد المحن والفتن، كما في الحديث الصحيح ”عقر دار الإسلام بالشام“<sup>9</sup>، و”الأين الإيمان إذا وقعت الفتنة بالشام“<sup>10</sup>.

• والمقيم المحتسب في هذه الأرض كالمجاهد والمرابط في سبيل الله لقوله ﷺ: ”أهل الشام وأزواجهم وذرياتهم وعبيدهم وإمائهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون في سبيل الله، فمن احتل مدينة من المدائن فهو في رباط، ومن احتل منها ثغراً من الثغور فهو في جهاد“<sup>11</sup>.  
• والطائفة المنصورة الثابتة على الحق إلى يوم القيامة تسكن في الشام وخصوصاً بيت المقدس وأكناف بيت المقدس<sup>12</sup>.

وعلى ذلك، فلا غرو أن تتعلق قلوب المسلمين وأفتدتهم بهذه الأرض المباركة المقدسة ويفدونها بدمائهم وأرواحهم.



## 2. مكانة فلسطين لدى المسيحيين:

تسمى فلسطين عند المسيحيين بالديار المقدسة، إذ بحسب الإيمان المسيحي، ولد فيها يسوع المسيح وحواريوه، وعاشوا فيها. وحدثت معظم الأحداث المذكورة في العهد الجديد والعديد من الأحداث المذكورة في العهد القديم. وحسب التراث المسيحي انطلقت البشارة المسيحية من شمالي فلسطين ووسطها، وانتشرت في أنحاء العالم.

تحتوي فلسطين على العديد من الأماكن المقدسة للمسيحيين وعلى رأسها مدينة بيت لحم، مسقط رأس المسيح حيث كنيسة المهد؛ ومدينة الناصرة حيث ترعرع المسيح؛ ومدينة القدس، حيث قام المسيح بدعوته، إلى أن خطى خطواته الأخيرة على طريق الآلام، ومن ثم تم (حسب الإيمان المسيحي) "صلبه ودفنه". ويؤمن المسيحيون بوجود "قبر المسيح" في كنيسة القيامة في القدس، التي تُعد إحدى أهم الكنائس في العالم. ويقدر المسيحيون أماكن مختلفة في الجليل، وخصوصاً حول بحيرة طبريا وعلى ضفة نهر الأردن. ولم تتضاءل أهمية هذه المدينة كمدينة مقدّسة إلا بعد سنة 590م، حين أصبح

عرش البابا جريجوري الأول هو مركز السلطة المسيحية، وأصبحت لروما الخطوة على القدس. وأصبح أسقف القدس يحتل المرتبة الخامسة في السلسلة الهرمية لهيئة الكهنوت الكاثوليكية. ومع ذلك، بقيت فلسطين (الأرض المقدسة) عميقةً في حياة المسيحيين وخيالهم بشكل عام.

### 3. مكانة فلسطين لدى اليهود<sup>13</sup>:

تشغل القدس ("أورشليم" في المصطلح الديني) مكاناً مركزياً في الوجدان اليهودي. فبعد أن استولى عليها داود عليه السلام، نُقل إليها تابوت العهد ثم بنى سليمان عليه السلام فيها الهيكل. ويُطلق على المدينة اسم "صهيون" في الموروث الديني اليهودي. وهي تضم أيضاً جبل صهيون وقبر داود وحائط المبكى (الحائط الغربي للمسجد الأقصى). وقد أصبحت المدينة مركزاً للدين اليهودي يتجه إليها اليهود ويذكرونها في صلواتهم، وخصوصاً في الاحتفال بعيد الفصح حيث يرددون: "نلتقي في العام القادم في أورشليم".

وقد أحاط التشريع والتراث اليهودي مدينة القدس بكثير من القوانين والأساطير. ويصفها التلمود بأنها سرّة العالم، ولا يضاهاها في حُسنها مدينة أخرى، وأن الإله خلق أورشليم عند خلقه العالم، وأنه أقام خيمة الاجتماع فيها. وصوّرت أورشليم في الدين اليهودي كأنها المكان الذي سيفيض فيه الخير من السماء، ومنها يوزع على بقية العالم. وهي بذلك تكون "الشخيانه" أو الملكوت الذي سيحكم العالم. وتحيط التلال بالقدس حتى لا تصل إليها "قوى الظلام"، ويقوم على حراستها ملائكة الشخيانه. وحسب اليهودية، فإن أورشليم لا يفصلها أي فاصل عن الإله، وتصد كل أدعية جماعة إسرائيل من خلالها. كما أن أورشليم، باعتبارها الملكوت، تلعب دوراً مهماً في عملية الإصلاح (تيقون)، إذ ستعلو جدرانها وتقترب من العرش الإلهي؛ وبهذا، يعود التوازن للعالم، ولعالم التجليات (سفيروت). والقدس إحدى مدن فلسطين الأربع المقدسة، بحسب اليهودية، التي يجب ألا تنقطع فيها الصلاة (إضافة إلى الخليل وصفد وطبرية).

ومع هذا تُحرّم اليهودية الحاخامية العودة إلى فلسطين (إرتس إسرائيل) ومن ثمّ القدس، إلا في آخر الأيام؛ وتربطها بظهور "المسيح" "Messiah" أو "الماشيح" "Mashiah" المنتظر. وقد حاولت اليهودية الإصلاحية أن تخفّف من الجانب القومي في اليهودية بأن تُحوّل فكرة اللقاء في القدس إلى فكرة معنوية، لا يبنني عليها برنامج عملي على الأرض،



وتشبه أفكار العصر الذهبي والحلم بالسعادة والفردوس لدى اليهود. ولكن الحركة الصهيونية فسّرت الشعار الديني تفسيراً حرفياً وحولته إلى شعار سياسي؛ ودعت الصهيونية الدينية إلى تجميع اليهود في فلسطين، تسهياً وتعجلاً بظهور "الماشخ"، وحتى يتم توفير الجهد والوقت عليه في جمعهم من بقاع الأرض؛ في الوقت الذي عدت فيه فرق يهودية أخرى ذلك هرطقة دينية، وتدخلاً بشرياً لمحاولة فرض إرادة الرب. وفي إطار الفهم السياسي الصهيوني، قامت جماعات يهودية بتغيير الصلوات، واستبدلوا بالصيغة التقليدية في الدعاء صيغة جديدة تقول: في العام القادم "نعيد بناء" أورشليم.

### ثالثاً: فلسطين عبر التاريخ:

هناك آثار تشير إلى أن الإنسان سكن فلسطين منذ العصر الحجري القديم (500 ألف - 14 ألف ق.م)، كما يشير العصر الحجري الوسيط (14 ألف - 8 آلاف ق.م) إلى وجود أشكال حياة حضارية تمثلت بما يعرف بالحضارة النطوفية. وعندما قدم الكنعانيون من جزيرة العرب (نحو 2500 ق.م) كانت هجرتهم واسعة بحيث أصبحوا السكان الأساسيين للبلاد، وقد أنشأوا ما لا يقل عن مئتي مدينة وقرية في فلسطين، مثل مدن بيسان وعسقلان وعكا وحيفا والخليل وأسدود وبئر السبع وبيت لحم<sup>14</sup>. ويرى ثقات المؤرخين أن معظم أهل فلسطين الحاليين، وخصوصاً القرويين، هم من أنسال القبائل الكنعانية والعمورية والفلسطينية، ومن القبائل العربية التي استقرت في فلسطين قبل الفتح الإسلامي وبعده، حيث اندمج الجميع في نسيج واحد، يجمعهم الإسلام واللغة العربية، إذ أسلموا واستعربوا تحت الحكم الإسلامي طوال ثلاثة عشر قرناً.

كان قدوم إبراهيم عليه السلام إلى فلسطين (نحو 1900 ق.م) إشراقاً لنور التوحيد في هذه الأرض المباركة، وقد عاصر حاكم القدس "ملكي صادق" الذي كان على ما يبدو موحداً وصديقاً له. وكان لأبي الأنبياء إبراهيم دوره في نشر رسالة التوحيد، ويبدو أنه لم يجد عناءً أو عناءً من أهل فلسطين، ولم يضطر لتركها بسبب دينه أو دعوته، فظل مستقراً فيها، ويتنقل بحرية حيث يشاء إلى أن توفاه الله في المدينة التي حملت اسمه "الخليل". وقد سار على دربه أبناؤه الأنبياء من بعده إسماعيل، الذي استقر في مكة، وإسحق وابنه يعقوب اللذين استقرا في فلسطين. وكان ليعقوب عليه السلام اثنا عشر ابناً هم

الأسباط المعروفون ببني إسرائيل (وإسرائيل هو لقب ليعقوب ﷺ) وقد هاجروا إلى مصر واستقروا فيها، حيث عانوا من اضطهاد الفراعنة بضعة قرون. وأرسل الله لهم موسى ﷺ (في القرن الـ13 ق.م) لينقذهم من فرعون وطغيانه، وأهلك الله فرعون وجنوده، غير أن بني إسرائيل في ذلك الزمان كانوا قد طبعوا على الذلّ والجبن، فرفضوا الذهاب إلى الأرض المقدسة قائلين لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ﴾<sup>15</sup>.

وتوفي موسى ﷺ قبل أن يدخل فلسطين، وعندما نشأ جيل جديد صلب من بني إسرائيل بعد أربعين سنة من التيه، قادهم يوشع بن نون ﷺ (نحو 1190 ق.م) حيث عبر بهم نهر الأردن، واستطاع تحقيق بعض السيطرة لبني إسرائيل في الجزء الشمالي الشرقي من فلسطين. ولمدة 150 سنة تالية سادت النكبات والفوضى والخلافات والانحلال الخلقي والديني بين بني إسرائيل. ولم يتحسن حالهم إلا بقدم طالوت ملكاً عليهم، والذي استطاع الانتصار على أعدائه.

وكان ظهور داود ﷺ الذي خلف طالوت إيداناً ببدء مرحلة جديدة لنور التوحيد في الأرض المباركة، حيث آتاه الله الملك (نحو 1004 ق.م) وقد واصل حربه ضدّ الأقوام الكافرة على الأرض المقدسة، حيث أخضعها واستطاع نقل عاصمته إلى القدس سنة 995 ق.م، وسيطر على معظم فلسطين، باستثناء معظم المناطق الساحلية التي لم تخضع له. واستمر في حكمه ﷺ حتى سنة 963 ق.م عندما خلفه ابنه سليمان ﷺ (963-923 ق.م) حيث شهدت فلسطين حركة بناء وعمران وازدهار ضخمة، وسخر الله له الريح والجنّ، وأعطاه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده. وكان حكم داود وسليمان هو العصر الذهبي، الذي حُكمت فيه فلسطين نحو ثمانين عاماً، تحت راية الإيمان والتوحيد قبل الفتح الإسلامي لها.

وبعد وفاة سليمان انقسمت مملكته إلى دولتين منفصلتين متعاديتين في كثير من الأحيان، فنشأت مملكة "إسرائيل" شمال فلسطين خلال الفترة 923-721 ق.م، التي سمّتها دائرة المعارف البريطانية ازدراء "المملكة الذيلية"، حيث ضعفت وفسد حكمها، وانتهى أمرها بسيطرة الآشوريين بقيادة سرجون الثاني عليها، وتدميرها ونقل سكانها من بني إسرائيل إلى حرّان والخابور وكرديستان وفارس، وأحلوا مكانهم جماعات من الآراميين، ولم يبق بعد ذلك أثر لأسباط بني إسرائيل العشرة الذين شكّلوا هذه الدولة. أما مملكة "يهودا" فاستمرت خلال الفترة 923-586 ق.م، وكانت عاصمتها القدس،



وقد اعترتها عوامل الضعف والوقوع تحت النفوذ الخارجي فترات طويلة، فقد هزمها ودخل عاصمتها شيشق فرعون مصر (أواخر القرن العاشر ق.م)، وفعل مثله الفلسطينيون في عهد يهورام (849-842 ق.م)، واضطرت لدفع الجزية للأشوريين...، ثم إنها سقطت أخيراً بيد البابليين بقيادة نبوخذ نصر الذي خرب القدس، ودمر الهيكل، وسبى نحو 40 ألفاً من اليهود، وبذلك سقطت مملكتهم سنة 586 ق.م.

وتشير التوراة إلى آثام بني إسرائيل التي استحقوا بسببها دمار ملكهم، فتذكر على لسان أشعيا، وهو أحد أنبيائهم: "ويل للأمة الخاطئة، الشعب الثقيل الأثم، نسل فاعلي الشر، أولاد مفسدون تركوا الرب، واستهانوا بقدوس إسرائيل، ارتدوا إلى وراء" سفر أشعيا، الإصحاح الأول، وتقول التوراة: "والأرض تدنست تحت سكانها لأنهم تعدوا الشرائع، غيروا الفريضة، نكثوا العهد الأبدي" سفر أشعيا، الإصحاح 24.

وهكذا فلم تطل مملكة بني إسرائيل في فلسطين أكثر من أربعة قرون حكموا في معظم الوقت بعضاً من أرضها، وكان حكمهم غالب الوقت ضعيفاً مفككاً، وخضع أحياناً لنفوذ وهيمنة دول قوية مجاورة. وفي الوقت نفسه ظل أبناء فلسطين من الكنعانيين وغيرهم في أرضهم، ولم يهجروها أو يرتحلوا عنها.

وقد سمح الإمبراطور الفارسي قورش Cyrus لليهود بالعودة إلى فلسطين، فعادت قلة منهم، عاشت إلى جانب أبناء فلسطين، وتمتعت منطقة القدس بنوع من الحكم الذاتي تحت السلطة الفارسية التي استمرت خلال الفترة 539-332 ق.م. وتلا ذلك عصر السيطرة الهلينية الإغريقية على فلسطين خلال الفترة 332-63 ق.م، واستمر يدير شؤون اليهود "الكاهن الأكبر"، واستطاع اليهود تحقيق حكم ذاتي منذ سنة 164 ق.م أخذ يضيق ويتسع، وتزداد مظاهر استقلاله وتضعف حسب صراع القوى الكبرى في ذلك الوقت على فلسطين (الرومان، البطالمة، السلوقيين...).

وقد تمكن الرومان من السيطرة على فلسطين سنة 63 ق.م، وأخضعوها لحكمهم المباشر منذ السنة السادسة الميلادية حيث ألغوا الحكم الذاتي اليهودي في منطقة القدس. وقد ثار اليهود خلال الفترة 66-70م لكن القائد العسكري الروماني تيتوس Titus أحمد ثورتهم ودمر الهيكل، ثم ثار اليهود مرة أخرى وأخيرة خلال الفترة 132-135م لكن القائد الروماني جوليوس سيفروس Julius Severus احتل القدس ودمرها،

وأقام الإمبراطور الروماني هادريان Hadrian مدينة جديدة فوق خرائبها سماها إيليا كابيتولينا Aelia Capitolina حيث عُرفت بعد ذلك باسم إيلياء، وهو اسم هادريان الأول. وحظر على اليهود دخول القدس نحو مئتي سنة تالية<sup>16</sup>، وندرت أعدادهم نسبة إلى السكان طوال 18 قرناً تالية. بينما ظلَّ أهل البلاد الأصليين من كنعانيين ومن اختلط بهم من قبائل العرب، مستقرين في البلاد قبل قدوم بني إسرائيل وفي أثناء وجودهم، وظلوا مستمرين كذلك بعدهم إلى أيامنا هذه.

وقد تولت الدولة البيزنطية (دولة الروم) القسم الشرقي من الدولة الرومانية منذ 394م، واستمرت في الهيمنة على فلسطين، عدا فترات ضئيلة من النفوذ الفارسي، حتى جاء الفتح الإسلامي لفلسطين سنة 15هـ/636م.

## رابعاً: فلسطين في العهد الإسلامي:

قبل أن تتشكل الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، كانت أنظار القلّة المستضعفة من المسلمين في مكة تتجه إلى المسجد الأقصى وبيت المقدس في فلسطين. إذ إن معجزة الإسراء تمت من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. وكان المسجد الأقصى هو القبلة الأولى للمسلمين في الصلاة. وقد كان فتح خيبر وفدك (7هـ)، وغزوتا مؤتة (8هـ)، وتبوك (9هـ)، وحملة أسامة بن زيد رضي الله عنه (11هـ) مقدمة لتطلع المسلمين إلى بلاد الشام.

أما فتح فلسطين فكانت أبرز المعارك التي أدت إلى فتحها هي معركة أجنادين بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه في 27 جمادى الأولى 13هـ - 30 تموز/ يوليو 634م قرب بيت جبرين التي قتل فيها نحو ثلاثة آلاف من الروم، ومعركة فحل - بيسان في 28 ذي القعدة 13هـ - 23 كانون الثاني/يناير 635م والتي كان ميدانها غربي نهر الأردن إلى الجنوب من بيسان. أما المعركة الفاصلة فكانت معركة اليرموك شمالي الأردن في 5 رجب 15هـ - 12 آب/ أغسطس 636م والتي واجه فيها جيش المسلمين، المكون من 36 ألفاً بقيادة أبي عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد رضي الله عنه، جيش الروم البالغ 200 ألف. وقد حلت كارثة كبرى في الروم قدرها بعض المؤرخين بنحو 130 ألف قتيل. وقد أدت هذه المعركة إلى فتح بلاد الشام. وجاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنفسه لاستلام مفاتيح بيت المقدس، بعد أن حاصرها المسلمون بضعة أشهر، ورغب



أهلها في الصلح شرط أن يتولى عمر رضي الله عنه العقد بنفسه. وهي المدينة الوحيدة في عهد الراشدين التي تولى خليفة بنفسه استلام مفاتيحها، وقد شارك عمر في الفتح نحو أربعة آلاف من الصحابة، وصدح صوت بلال بن رباح فيها بالأذان، بعد أن كان امتنع عن ذلك منذ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم<sup>17</sup>. وقد كتب عمر بن الخطاب لأهل القدس عهداً، اشتهر باسم ”العهد العمرية“<sup>18</sup>، وجاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئتها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبيهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود.

وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن. وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وله مثل ما على أهل إيلياء من الجزية...

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمر بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان، وكتب وحضر سنة 15هـ.

ويعكس هذا النص مدى التسامح الديني عند المسلمين، في عالم كان يسوده التعصب الأعمى والإكراه على الدين. وقد تم فتح القدس على الأرجح في ربيع الآخر 16هـ - أيار/ مايو 637م. وكانت قيسارية آخر مدينة تفتح في فلسطين في شوال 19هـ - تشرين الأول/ أكتوبر 640م، وكانت ميناء ومدينة عامرة قوية، سعى الروم للاحتفاظ بها قدر استطاعتهم.

وحسب التقسيمات الإدارية أصبحت فلسطين ”جنداً“ من ”أجناد“ الشام الذي توزع على أربعة أجناد في عهد الراشدين، وأصبحت خمساً في عهد الدولة الأموية. وقد ظلت فلسطين جزءاً أصيلاً في الدولة الإسلامية ومتفاعلاً مع تطوراتها السياسية والحضارية. ولم يكن تغير الدول والأسر الحاكمة ليؤثر على حقيقة أن أهل فلسطين عرب مسلمون موالون لدولة الإسلام وحكم الإسلام.



وقد استمر حكم الراشدين حتى سنة 41هـ/661م، ثم تبعه حكم بني أمية حتى 132هـ/750م، ثم العباسيون، الذين استمر حكمهم المباشر على فلسطين إلى أن بدأ يعاني من الضعف والتفكك، مع انتهاء العصر العباسي الأول بمقتل الخليفة العباسي المتوكل سنة 247هـ/861م مما أعطى الفرصة للولاة إلى أن يشكلوا لأنفسهم سلطات محلية وراثية، كما حدث مع العائلة الطولونية التي حكمت مصر وضمّت فلسطين إليها خلال الفترة 264-292هـ أي 878-905م، وقد حذا الأخشيديون حذو الطولونيين عندما حكموا مصر، فضموها إلى نفوذهم خلال الفترة 323-358هـ أي 935-969م. وقد حكم الطولونيين والأخشيديون تحت الظل الإسمي للدولة العباسية.

وفي 358هـ تمكن الفاطميون، الذين ينتمون إلى المذهب الإسماعيلي، من السيطرة على فلسطين، وخاضوا صراعات مع الثورات المحلية ومع القرامطة والأتراك

السلاجقة للسيطرة على فلسطين. ثم إن السلاجقة تمكنوا في 464هـ/1071م من السيطرة على معظم فلسطين. لكن الصراع عاد ليحدثم بين السلاجقة أنفسهم وبينهم وبين الفاطميين، وقد تمكّن الفاطميون من السيطرة على صور سنة 1097م وبيت المقدس في شباط/فبراير 1098م. وقد كان هذا الصراع في غمرة الحملة الصليبية الأولى التي بدأت طلائعها في الوصول إلى بلاد الشام. وقام الفاطميون بمراسلة الصليبيين، عارضين عليهم التعاون في قتال السلاجقة، مقابل أن يكون القسم الشمالي من بلاد الشام للصليبيين وفلسطين للفاطميين<sup>19</sup>.

وليس من منهجنا في هذه الدراسة أن نتحدث عن تفصيلات الحروب الصليبية<sup>20</sup>. ولكننا نذكر أن الصليبيين تمكنوا من احتلال فلسطين، وسيطروا على القدس 492هـ/1099م بعد أن خاضوا في بحر من دماء المسلمين، وقتلوا منهم في القدس نحو 70 ألفاً. لكن الأمة المسلمة كانت ما تزال تملك الكثير من القوة والحيوية وكانت أرقى حضارياً وعلمياً من الصليبيين الأوروبيين، على الرغم من ما كانت تعانيه من تشردم وصراع سياسي وحروب داخلية. فقد ظهر أبطال مجاهدون أنكهوا الصليبيين طيلة فترة حكمهم، من أمثال أقسنقر البرسقي (508-520هـ)، وعماد الدين زنكي (521-540هـ) الذي أسقط إمارة الرها الصليبية، وابنه نور الدين محمود (541-569هـ أي 1146-1174م)، الذي قدّم نموذجاً فذاً للقيادة المسلمة، وتبنى مشروعاً نهضوياً حضارياً موازياً لمشروع التحرير الذي شغله طيلة حكمه، فتمكن من توحيد القوى الإسلامية بقيادته في بلاد الشام، ثم ضمّ مصر إلى حكمه، وأسقط الخلافة الفاطمية فيها على يد واليه هناك صلاح الدين الأيوبي، وتمكن من تحرير نحو خمسين مدينة وقلعة من الصليبيين. إلا أنه توفي رحمه الله بعد أن استكمل تثبيت فكي الكماشة (مصر والشام) على عنق الصليبيين.

رفع صلاح الدين الأيوبي راية الجهاد بعد نور الدين خلال الفترة 569-589هـ أي 1174-1193م، وأعاد توحيد الشام ومصر تحت قيادته، وخاض معركة حطين مع الصليبيين في 24 ربيع الآخر 583هـ أي 4 تموز/ يوليو 1187م وهي معركة فاصلة في التاريخ أدت إلى تحطيم الوجود الصليبي وفتح بيت المقدس في 27 رجب 583هـ أي 2 تشرين الأول/ أكتوبر 1187م، أي بعد نحو 88 عاماً من الحكم الصليبي. وقد تابع الصليبيون حملاتهم وتمكنوا من السيطرة على شريط ساحلي بين يافا وصور، كما سيطروا مرة أخرى على القدس (بسبب الصراعات الداخلية في الدولة الأيوبية) معظم الفترة بين 626-642هـ أي 1229-1244م إلى أن عادت نهائياً إلى حظيرة الإسلام، واستمرت كذلك حتى الاحتلال البريطاني لفلسطين سنة 1917م.

وقد خلف المماليك الدولة الأيوبية سنة 648هـ/1250م وواجهوا الزحف المغولي على أرض فلسطين في معركة عين جالوت 25 رمضان 658هـ أي 6 أيلول/ سبتمبر 1260م بقيادة قطز (محمود بن ممدود) والتي تعدّ من المعارك الفاصلة في التاريخ. ثم تابع المماليك مشروع تحرير فلسطين وبلاد الشام من بقايا الصليبيين، فقام الظاهر بيبرس بجهد كبير في ذلك، حيث استرد العديد من المناطق في فلسطين والشام ثم تابعه

سيف الدين قلاوون، ثم ابنه الأشرف خليل بن قلاوون، الذي تمّ على يديه إنهاء الوجود الصليبي في بلاد الشام بإسقاطه مملكة عكا الصليبية. إذ حرّر عكا في 17 جمادى الأولى 690هـ أي 18 أيار/ مايو 1291م، واستولى بعد ذلك بسرعة على صيدا وصور وحيفا وعتليت. لتعود السيطرة الكاملة على فلسطين والشام من جديد لحكم الإسلام.

وعندما ضعف شأن المماليك قام العثمانيون بالسيطرة على فلسطين وباقي بلاد الشام (سورية والأردن ولبنان) سنة 1516م، وسيطروا على مصر والحجاز واليمن والجزائر في السنة التالية، ووسّعوا سيطرتهم خلال نصف القرن التالي لتشمل معظم العالم العربي، بما في ذلك العراق وشرق الجزيرة العربية، وليبيا وتونس. وقد استمر حكمهم لفلسطين حتى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة 1918م.

اكتسبت فلسطين طابعها الإسلامي، منذ الفتح العمري، ودخل أهلها في دين الله أفواجاً، وتعربوا وتعربت لغتهم بامتزاجهم مع القبائل العربية القادمة من الجزيرة العربية تحت لواء الحضارة الإسلامية. ولم تكن فترة الحروب الصليبية لتؤثر كثيراً على هوية الأرض والسكان، إذ صمد الفلسطينيون في أرضهم، بينما كان الصليبيون في أحيان كثيرة في وضع دفاعي مُنهك.

وعلى أي حال، فإن الحكم الإسلامي لفلسطين استمر نحو 1,200 سنة حتى 1917م، وهي أطول فترة تاريخية مقارنة بأي حكم آخر، كان الحكم فيها مسلماً، والشعب مسلماً، وغطى الحكم كل فلسطين وليس بعضها، كما ضرب المسلمون المثل الأعلى في التسامح الديني وحرية الأديان، فكانوا خير من خدم الأرض المقدسة، وحمى حرمتها.

وقد ترسخ الإسلام في فلسطين بقدم عدد من الصحابة رضي الله عنهم واستقرارهم في فلسطين ونشرهم للإسلام فيها، وكان منهم: عبادة بن الصامت، وشداد بن أوس، وأسماء بن زيد بن حارثة، ووائل بن الأُسقع، وفيروز الديلمي، ودحية الكلبي، وعبد الرحمن بن غنم الأشعري، وعلقمة بن مجزر الكناني، وأوس بن الصامت، ومسعود بن أوس بن زيد، وزنباع بن روح، وأبو ریحانة شمعون الأنصاري، وسويد بن زيد، وذو الأصابع التميمي، وأبو أبي بن أم حرام الأنصاري، وأنيف بن ملة الجذامي، وأبو رويحة الفزعي... وغيرهم من الصحابة الذين عاشوا في فلسطين ودُفِنوا في ثراها.

ومن التابعين من أبناء فلسطين رجاى بن حيوة الكندي من موالىد بيسان، وهو الذى أشار على سليمان بن عبد الملك بتولية عمر بن عبد العزيز الخليفة. ومن التابعين أيضاً عبادة بن نسي الكندي، وروح بن زنباع، وممن سكن فلسطين أو زارها من التابعين مالك بن دينار، والأوزاعي، وهانىء بن كعثوم، وحميد بن عبد الله اللخمي، وسفيان الثوري، وابن شهاب الزهري.

ومن كبار الأئمة والفقهاء الذين ولدوا في فلسطين الإمام الشافعي الذى ولد في مدينة غزة، وممن عاشوا في فلسطين أو زاروها من الأئمة إبراهيم بن أدهم، والليث بن سعد، وأبو بكر محمد الطرطوشي، وأبو بكر الجرجاني، وابن قدامة المقدسي.

وإلى فلسطين ينتسب فاتح الأندلس القائد موسى بن نصير اللخمي، كما ينتسب إليها عبد الحميد بن يحيى رئيس فن الكتابة وسيد الإنشاء والدواوين في عصره، وينتسب إليها أيضاً أول علماء الكيمياء الكبار في التاريخ الإسلامي خالد بن يزيد الأموي. ولا يتسع المجال للاستطراد، فقد كانت الأرض المقدسة مركزاً للحضارة الإسلامية، ومهوى لأفئدة المسلمين، وشارك أبناؤها بفعالية في بناء صرح الأمة الإسلامية الشامل وفي الارتقاء بنهضتها<sup>21</sup>.

## خامساً: المزاعم الدينية والتاريخية لليهود في فلسطين:

تجدد الإشارة إلى أن يهود هذا الزمان يبنون احتلالهم لفلسطين على مزاعم دينية وتاريخية، فيدعون أن الله سبحانه وعدهم هذه الأرض، ويشيرون إلى ارتباطهم التاريخي بها، بحكمهم إياها زمناً، وبتواجدهم على أرضها، وارتباطهم النفسي والروحي بها، وقدسيتها عندهم. ونحن نؤمن أن لليهود حريتهم الدينية، وليس من حق أحد أن يكرههم على تغيير عقائدهم، ولكن ليس من حقهم أن يلزموا الآخرين بعقيدتهم. كما أنه ليس من حقهم أن يشرّدوا شعباً من دياره، ويغتصبوا أرضه وأملاكه ومقدساته تحت دعاوهم الدينية.

أما المسلمون فلا يرون لليهود حقاً في هذه الأرض، فمن ناحية دينية، فإن هذه الأرض أعطيت لبني إسرائيل عندما رفعوا راية التوحيد، واستقاموا عليها، تحت قيادة رسلهم

وصالحهم. ولكنهم انحرفوا وبدّلوا وقتلوا أنبياءهم، وعاثوا في الأرض فساداً بعد ذلك، ففقدوا تلك الشرعية. والمسلمون يؤمنون أنهم الورثة الحقيقيون لراية التوحيد، وأنهم الامتداد الحقيقي الوحيد لأمة التوحيد ودعوة الرسل، وأن دعوة الإسلام هي امتداد واستمرار لدعوة إبراهيم وإسحق ويعقوب وإسماعيل وموسى وداود وسليمان وعيسى... عليهم السلام. فالمسلمون الآن هم أحق الناس بهذا الميراث بعد أن انحرف الآخرون. والمسألة غير مرتبطة بالجنس والنسل والقومية، وإنما مرتبطة باتباع المنهج، وعلى هذا فنحن المسلمين نؤمن أن رصيد الأنبياء هو رصيدنا، وتجربتهم هي تجربتنا، وتاريخهم هو تاريخنا، والشرعية التي أعطها الله للأنبياء واتباعهم في حكم الأرض المقدسة هي دلالة على شرعيتنا وحقنا في هذه الأرض وحكمها. قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٧) إِنَّكَ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَبِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ 22، وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴾ 23، وقال تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ 24. وهكذا فإن الله أخبر إبراهيم عليه السلام أن الإمامة والقيادة لا ينالها الظالمون من نسله وذريته، لأن الأمر مرتبط بالاستقامة على منهج الله، ولو كان الأمر مرتبطاً بالتناسل فلا ينبغي لبني إسرائيل أن يقصروه على أنفسهم، ولاستحق إسماعيل عليه السلام ونسله هذا الوعد الذي أعطي لإبراهيم، ولاستحقه العرب المنتسبون إلى إسماعيل جد العرب العدنانية، ومنهم قريش وسيدها محمد ﷺ.

أما من الناحية التاريخية، فإن حكم بني إسرائيل لفلسطين كان فترة ضئيلة ولم تتجاوز الأربعة قرون على أجزاء من فلسطين، وليس كلها. أما الحكم الإسلامي فقد استمر نحو 12 قرناً (636-1917م) قطعت لفترة ضئيلة فترة الحروب الصليبية. وإذا كان معظم اليهود قد غادر فلسطين، وانقطعت صلتهم الفعلية بها مدة 18 قرناً، منذ 135م وحتى القرن العشرين، فإن أهل فلسطين الأصليين لم يغادروها طوال الأربعة آلاف وخمسمائة سنة الماضية، إلى أن طُرد عدد كبير منهم قسراً على يد العصابات الصهيونية سنة 1948م، وما زالوا إلى الآن يجاهدون لاسترداد أرضهم دون أن يتنازلوا عنها.





• آرثر كوستلر

ثم إن أكثر من 80% من يهود هذا الزمان، حسب بعض الباحثين والعلماء اليهود أنفسهم وعلى رأسهم آرثر كوستلر Arthur Koestler صاحب كتاب القبيلة الثالثة عشر The Thirteenth Tribe: The Khazar Empire & Its Heritage (وإلى جانبه أ. ن. بولاك A. N. Polak، وك. ل. بروك K. L. Brook، وس. ساند S. Sand، وإ. إ. إيليك E. Eliak)، لا يمتنون إلى بني إسرائيل ولا إلى فلسطين بأي صلة نسب أو تاريخ، لأن معظم

اليهود المعاصرين هم من يهود "الخرز" الذين ترجع أصولهم إلى قبائل تترية - تركية قديمة استوطنت منطقة شمال القوقاز (جنوب روسيا) وتهودت في القرن الثامن الميلادي بقيادة ملكها بولان Bulan سنة 740م، وعندما سقط ملكهم انتشروا في روسيا وشرق أوروبا، وهم ما يعرف الآن باليهود الأشكناز<sup>25</sup>، فإن كان لهم ثمة حق في العودة فليعودوا إلى جنوب روسيا!!

## سادساً: خلفيات ظهور القضية الفلسطينية في التاريخ الحديث:

كما أشرنا سابقاً، فقد اليهود صلتهم بفلسطين عملياً مدة 1,800 عام، ولم يكن لديهم سوى العاطفة الدينية، التي رفض أحبارهم وحاخاماتهم وقادتهم تحويلها إلى برنامج عملي؛ لأنهم كانوا يؤمنون أنهم استحقوا تدمير دولتهم وشتاتهم بسبب خطاياهم، وأن عليهم انتظار المسيح المخلص الخاص بهم "الماشيح" أو "المسيح"، وعند ذلك يجوز لهم الاستقرار في فلسطين وإقامة كيانهم.

على أن عدداً من التغيرات المهمة حدثت في التاريخ الأوروبي الحديث، انعكست بدورها على اليهود وإنشاء المشروع الصهيوني. فمنذ القرن السادس عشر الميلادي ظهرت حركة الإصلاح الديني "الحركة البروتستانتية" Protestant Reformation "Protestantism" التي ركزت على الإيمان بالعهد القديم "التوراة"، ونظرت لليهود وفق رؤية توراتية بأنهم "أهل فلسطين" المشردين في الأرض، وآمن الكثير من

البروتستانت بنبوء العهد الألفي السعيد، بأن اليهود سيُجمعون من جديد في فلسطين، استعداداً لعودة المسيح المنتظر الذي سيقوم بتنصيرهم، ثم يقودهم في معركة أرمجدون Armageddon، حيث ينتصر على أعدائه، ليبدأ بعد ذلك عهد يمتد ألف سنة من السعادة. وقد شكل أتباع الكنائس البروتستانتية أغلبية سكان بريطانيا والولايات المتحدة وهولندا ونحو نصف سكان ألمانيا. وهكذا ظهرت "الصهيونية غير اليهودية" خصوصاً وسط هؤلاء البروتستانت، الذين دعموا المشروع الصهيوني بناء على خلفية دينية<sup>26</sup>.

ومن جهة أخرى فإن أوروبا، خصوصاً في القرن التاسع عشر، شهدت تحولات سياسية مهمة، فمنذ الثورة الفرنسية على الحكم الملكي سنة 1789م أخذت تتشكل الدولة الأوروبية الحديثة، وانتشرت الفكرة القومية والمشاعر الوطنية، وتم إنشاء أنظمة علمانية فصلت الدين عن الدولة وهمّشت دور الكنيسة. وتم "تحرير" اليهود، وإعطائهم كافة حقوق المواطنة، خصوصاً في أوروبا الغربية، مما سهل على اليهود اختراق هذه المجتمعات والأنظمة، والارتقاء بمكانتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتحقيق مستويات أعلى من النفوذ في دوائر السياسة والاقتصاد والإعلام.

وفي المقابل، فإن الدولة القومية والمشاعر الوطنية في روسيا وأوروبا الشرقية قد أخذت منحى آخر، حيث كان يتواجد غالبية يهود العالم. إذ قاوم يهود روسيا عمليات الدمج والتحديث الروسية، التي تميزت بالفوقية والقسر والإرهاب. وزادت مشاركة الكثير من اليهود في الحركات الثورية اليسارية من عداة الحكومة القيصرية الروسية لهم، وانفجرت العداوة ضدهم بشكل مكشوف إثر اغتيال قيصر روسيا ألكسندر الثاني Alexander II سنة 1881م، والذي اتهم به اليهود. وبدأت موجة من الإجراءات العنيفة القاسية ضدهم سميت بـ"اللا سامية anti-Semitism"، أي العداة لليهود لكونهم يهوداً ينتمون إلى العنصر السامي، وقد أدى ذلك إلى نشوء "المشكلة اليهودية"<sup>27</sup>؛ إذ إن ملايين اليهود في روسيا أخذوا يبحثون عن فرصة للخلاص مما هم فيه، وبدأت أعداد هائلة منهم في الهجرة إلى أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية والجنوبية. وكانت هذه فرصة الحركة الصهيونية للظهور والدعوة إلى حلّ المشكلة اليهودية، بإنشاء كيان آمن مستقل لليهود في فلسطين. وتعاطف الكثير من الأوروبيين والأمريكان مع هذه الدعوة، سواء لخلفياتهم الدينية، أم تخلصاً من أعباء التدفق اليهودي على أرضهم.



وأُسهم **ضعف الدولة العثمانية**، التي كانت فلسطين تحت حكمها خلال الفترة 1516-1917م، وسعِيّ الدول الغربية لتقاسم أراضيها، إلى بروز أجواء عملية أفضل لتأسيس المشروع الصهيوني. إذ كانت هناك رغبة غربية بملئ الفراغ الذي سينتج عن سقوط الدولة العثمانية، ومنع نهوض قوة إسلامية كبرى تخلف العثمانيين.

وقد ظهرت في ذلك الوقت فكرة إنشاء **دولة حاجزة شرقي قناة السويس** وغربي بلاد الشام، في أواخر القرن التاسع عشر، بحيث يتم غرس كيان غريب في قلب العالم الإسلامي، يفصل جناحه الآسيوي عن جناحه الإفريقي، ويمنع وحدته، ويضمن ضعفه وتفككه، إذ إن استمرار مثل هذا الكيان مرتبط بمدى ضعف من حوله. وسيسعى هذا الكيان بالتالي لضرب أي نمو حضاري قوي في المنطقة، وسيشغل العالم الإسلامي بمشكلة طويلة معقدة تستنزف طاقته وجهوده، وتبقيه إلى أبعد مدى ممكن في فلك التبعية والضعف والحاجة للعالم الغربي، كما تبقى مصدراً للمواد الخام وسوقاً للمنتجات الغربية. وكما أن هذا الكيان سيكون بحاجة إلى دعم الغرب لضمان استمراره، فإن الغرب كذلك سيكون بحاجة إليه لضمان ضعف العالم الإسلامي وتفككه وتبعيته. وبذلك ينشأ بينهما تحالف لا ينفصم. وهنا تكمن أهمية أن يفهم المسلمون أن هذا المشروع موجّه ضدّ كل مسلم وأماله في الوحدة والنهضة والتقدم وليس ضدّ الفلسطينيين وحدهم.

لقد عاش الغرب قرناً طويلاً من الصراع مع المسلمين، كانت فيه اليد الطولى للمسلمين نحو 11 قرناً، وما كانت لتنتهي دولة مسلمة حتى تحل مكانها دولة مسلمة تجدد الحيوية في هذه الأمة، وتحفظ عزتها وكرامتها، فكانت دول الراشدين، والأمويين، والعباسيين، والمماليك، والعثمانيين الذين خلفوا المماليك وتمكنوا من فتح معظم أوروبا الشرقية، ومن توحيد العالم العربي تحت رايتهم فكانوا حصناً عظيماً للإسلام قرون عديدة. غير أن ضعف الدولة العثمانية خصوصاً في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين جعل الأوروبيين يفكرون بطريقة تضمن ألا تقوم بعد ذلك للعالم الإسلامي قائمة، وألا تحل محل العثمانيين دولة مسلمة جديدة، تبعث الحيوية والنهضة فيهم، فكانت **فكرة الدولة الحاجزة**، التي توافقت مع فكرة حلّ المشكلة اليهودية، ومع فكرة حماية الجناح الشرقي لقناة السويس.

## سابعاً: التطور السياسي للقضية الفلسطينية حتى سنة 1914:



• نابليون بونابرت

لفتت حملة نابليون بونابرت Napoleon Bonaparte إلى مصر، التي احتلها بسهولة في تموز/ يوليو 1798، الأنظار إلى مدى ضعف الدولة العثمانية، وفتحت شهية الاستعمار الأوروبي لاقتسام تركة هذه الدولة.

وقد نفذ نابليون حملةً على فلسطين في شباط/ فبراير 1799، فاحتل جنوب فلسطين ووسطها بسرعة، وفي 1799/3/6 احتل يافا، حيث ارتكب الفرنسيون فيها مذبحه وحشية بقتل ألفين من حاميتها بعد استسلامها، لأن

نابليون لم يكن يرغب في تحمل تكاليف إطعامهم وحراستهم. وبدأ حصار الفرنسيين لعكا في 18 آذار/ مارس؛ غير أنهم فشلوا أمام أسوار عكا وصمود حاميتها وأهلها، ولذلك عرفت عكا بـ "قاهرة نابليون". وانسحب الفرنسيون إلى مصر في 1799/5/20.<sup>28</sup>

تشير بعض المراجع أن نابليون كان أول زعيم سياسي أوروبي يصدر دعوة رسمية لليهود لتحقيق آمالهم، وإقامة كيانهم على أرض فلسطين، وأنه قد نشر دعوته هذه في 1799/4/20 في أثناء حصاره لعكا<sup>29</sup>. غير أنه على ما يبدو لا يوجد علمياً ووثائقياً ما يُثبت ذلك.

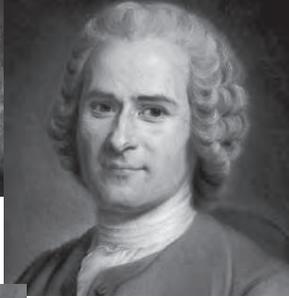
ولم تكن الأهمية الخاصة لمصر وبلاد الشام لتغيب عن أعين البريطانيين الذين كانوا القوة الكبرى الأولى في العالم، فافتتحت بريطانيا قنصلية لها في القدس سنة 1838. وفي أول رسالة لنائب القنصل في القدس، طلبت الخارجية البريطانية منه توفير الحماية لليهود، حتى وإن كانوا غير بريطانيين، ولذلك ظلت هذه القنصلية مركزاً للدفاع عن مصالح اليهود حتى نشوب الحرب العالمية الأولى سنة 1914<sup>30</sup>. وعندما تمّ للبريطانيين السيطرة على قبرص سنة 1878، ومصر سنة 1882، أصبحت الدولة الاستعمارية الوحيدة التي لها قواعد شرقي البحر المتوسط. وبالإضافة إلى الخلفيات الدينية والتاريخية، أصبحت تنظر إلى فلسطين في ضوء



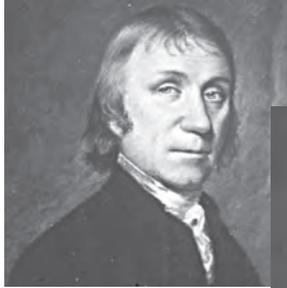
التنافس الاستعماري على المنطقة، وفي ضوء حاجتها لحماية الجناح الشرقي لقناة السويس التي أصبحت الشريان الحيوي للمواصلات البريطانية خصوصاً إلى الهند. وعندما تأسس المشروع الصهيوني، وظهرت فكرة الدولة الحاجزة، فإنها



• إسحاق نيوتن



• جان جاك روسو



• جوزيف بريستلي



• زفي هيرش كاليشر



• يهودا القالي



• موزيس هس

كانت تخدم بلا شك، مختلف الدوافع والخلفيات الدينية والحضارية والسياسية والاستراتيجية. وأصبحت تتخذ أبعاداً عملية يمكن تنفيذها في ضوء التدهور العثماني المتسارع.

ولم تكن أصداء الدعوات التي أطلقها اليهود والصهاينة غير اليهود لـ"العودة" إلى فلسطين لتأخذ أبعاداً جدية قبل نهايات القرن التاسع عشر. فقد ظهرت بواكير هذه الدعوات في القرن السادس عشر، مروراً بأول كتاب صدر حول هذا الموضوع بقلم المحامي البريطاني هنري فنش Henry Finch سنة 1621 بعنوان "البعث العالمي الكبير أو عودة اليهود"، كما ظهرت في كتابات ودعوات النصراري أمثال إسحاق نيوتن (1643-1727)، وجان جاك روسو Jean-Jacques Rousseau (1712-1778)، وجوزيف بريستلي Joseph Priestley (1733-1804)،

وشافتسبري Shaftesbury، ولورنس أوليفانت Laurence Oliphant.

وظهرت كذلك دعوات اليهود أمثال شبتي تسفي Shabbetai Tzvi (1626-1676)، وزفي هيرش كاليشر Zvi Hirsch Kalischer (1795-1874)، ويهودا القالي Judah Alkalai (1798-1878)، وموزيس هس Moses Hess (1812-1875) وغيرهم<sup>31</sup>. غير أن قدوم اليهود ظلّ مرتبطاً بالعاطفة الدينية التقليدية في زيارة الأماكن المقدسة، أو السكن بجوارها، كما ارتبط بمشاريع استيطانية "خيرية"، ولم يأخذ طابع البرنامج السياسي المنظم المكشوف. فقد كان عدد اليهود في فلسطين سنة 1799 نحو 5 آلاف<sup>32</sup>. وفي سنة 1876 بلغ 13 ألفاً و920 يهودياً<sup>33</sup>.



• المؤتمر الصهيوني الأول، 1897

أخذت الهجرة اليهودية تتخذ طابعاً أكثر تنظيماً وكثافة منذ سنة 1882 إثر تصاعد "المشكلة اليهودية" في روسيا، وقامت السلطات العثمانية بعدد من الإجراءات لمنع الاستيطان اليهودي في فلسطين، وقامت سنة 1887 بفصل سنجق القدس عن ولاية سورية، ووضعته مباشرة تحت إشراف الحكومة المركزية (الباب العالي) لإعطاء رعاية واهتمام أكبر لهذه المنطقة<sup>34</sup>. وبالرغم من أن عدد اليهود الذين تركوا بلدانهم الأصلية، خصوصاً روسيا وشرقي أوروبا، بلغ نحو مليونين و367 ألف شخص خلال الفترة 1881-1914، إلا أن عدد من استطاع الهجرة منهم إلى فلسطين بلغ نحو 55 ألفاً، أي ما نسبته 2.32%، بينما هاجرت الأغلبية الساحقة إلى الولايات المتحدة وأوروبا الغربية وأمريكا الجنوبية<sup>35</sup>. وهذا يدل على نجاح نسبي للسلطات العثمانية في الحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين.





• السلطان عبد الحميد الثاني

وقد كان إنشاء المنظمة الصهيونية العالمية  
World Zionist Organization (WZO)

وانعقاد مؤتمرها الأول في بال بسويسرا

في 29-31/8/1897 بزعامه ثيودور

هرتزل Theodor Herzl فاتحة العمل

الصهيوني السياسي المؤسسي المنظم،

لتأسيس الدولة اليهودية على أرض

فلسطين. وقد حرص هرتزل على

تحقيق المشروع الصهيوني من خلال

الاتصالات الدبلوماسية، ومحاولة

تشجيع القوى الكبرى، وخصوصاً

بريطانيا، على تبني هذا المشروع، في

ضوء المصالح والفوائد التي يمكن أن

يجنيها الغرب الاستعماري الصليبي،

وقد حاول هرتزل عبثاً إقناع الدولة

العثمانية ببيع فلسطين وإعطاء اليهود حكماً

ذاتياً فيها تحت السيادة العثمانية، وفتح أبواب

الهجرة اليهودية إليها مقابل عروض مغرية، كانت الدولة العثمانية في أمس الحاجة إليها، إلا

أن السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909) وقف سداً منيعاً ضد رغبات اليهود، وردّ

على من نقل اقتراح هرتزل إليه قائلاً:

أنصحهُ ألا يسير أبداً في هذا الأمر. لا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحداً من البلاد؛

لأنها ليست لي بل لشعبي. ولقد حصل شعبي على هذه الإمبراطورية بإراقة

دمائهم، وقد غدوها فيما بعد بدمائهم، وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد

باغتصابها منا... ليحتفظ اليهود ببلايينهم، فإذا قسمت الإمبراطورية، فقد

يحصل اليهود على فلسطين دون مقابل، إنما لن تقسم إلا على جثتنا، ولن أقبل

بتشريحنا لأبيّ غرض كان<sup>36</sup>.

وقد شارك اليهود بفعالية في إسقاط السلطان عبد الحميد من منصبه، من خلال انبثاقهم ونفوذهم الكبير في جمعية تركيا الفتاة وذراعها لجنة الاتحاد والترقي، والتي قامت بالانقلاب العسكري عليه، وإجباره على التنازل عن العرش، وتعمدت إرسال أحد زعمائها، وهو إيمانويل قره صو Emmanuel Carasso (وهو زعيم يهودي صهيوني ماسوني) ضمن الوفد الذي أبلغ السلطان عبد الحميد بقرار عزله. وكان قره صو هذا قد حاول التأثير على السلطان عبد الحميد لإسكان اليهود في فلسطين، فقام بطرده<sup>37</sup>. وقد استمتع اليهود بنفوذ كبير تحت حكم الاتحاد والترقي خلال الفترة 1909-1914، فبينما كان لليهود ثلاثة وزراء من أصل 13 وزيراً في حكومة الاتحاد والترقي التي تشكلت سنة 1913، كان للعرب الذين يزيد عددهم عن نصف السكان وزير واحد<sup>38</sup>.



”المساحة!! من نهر مصر إلى نهر الفرات، نريد فترة انتقالية في ظل مؤسساتنا الخاصة، وحاكماً يهودياً خلال هذه الفترة. وما أن يصبح السكان اليهود في منطقة ما ثلثي سكانها حتى تصبح الإدارة اليهودية سارية المفعول على الصعيد السياسي“.

< ثيودور هرتزل، مؤسس ورئيس المنظمة الصهيونية العالمية، نقلاً عن: أسعد زروق، إسرائيل الكبرى، ص 87-89.

وقد كان لأبناء فلسطين نشاط مبكر في مواجهة المشروع الصهيوني، وكانت أولى الاصطدامات المسلحة بين الفلاحين الفلسطينيين والمستوطنين الصهاينة سنة 1886، وقاموا بتقديم العرائض للسلطات العثمانية، كما نشطت الصحف في تبيان الخطر



الصهيوني مثل جريدتي الكرمل وفلسطين. وكان للشيخ محمد رشيد رضا المصلح الإسلامي "اللبناني" المقيم في مصر من خلال مجلة المنار دور رائد في ذلك. كما برز من رجالات فلسطين يوسف ضيا الخالدي وسليمان التاجي الفاروقي وإسعاف النشاشيبي... ممن تحدثوا عن الخطر الصهيوني. وكانت سياسات "التتريك" والمحاباة للصهيونية التي مارستها حكومة الاتحاد والترقي باعثاً رئيسياً لأبناء فلسطين والعرب للانضمام للجمعيات العربية، التي أخذت تطالب بالإصلاح ضمن الدولة العثمانية، مثل حزب اللامركزية والعربية الفتاة وغيرها<sup>39</sup>.

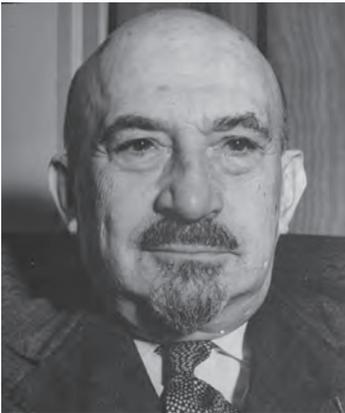


• يوسف ضيا الخالدي



• إسعاف النشاشيبي

## ثامناً: قضية فلسطين في الحرب العالمية الأولى 1914-1918:



• حاييم وايزمان

ومع بداية الحرب العالمية الأولى سنة 1914 كان قد بلغ عدد اليهود في فلسطين نحو 80 ألفاً، غير أن موقف اليهود المماليء لبريطانيا وحلفائها ضدّ الدولة العثمانية قد جعل العثمانيين يضيّقون عليهم فترة الحرب (1914-1918)، فانخفض عددهم مع نهايتها إلى نحو 55 ألفاً.

وقد كانت الحرب العالمية الأولى خطراً هائلاً على الجميع، لكنها مثلت في الوقت نفسه فرصة أمام كل طرف للانتفاع من نتائجها في حالة الانتصار، فنشط سوق المفاوضات والاتصالات السرية والمعاهدات لترتيبات ما بعد الحرب. وعلى الرغم من أن المنظمة الصهيونية العالمية عانت مؤقتاً من حالة من التشتت بسبب وجود الكثير من قياداتها في ألمانيا، إلا أن حاييم وايزمان Chaim Weizmann استطاع إعادة ترتيب أوراقها، وقيادتها عملياً من خلال مركزه في بريطانيا. أما بريطانيا فقد سعت إلى ضمان نفوذها في بلاد الشام والعراق من خلال السير في ثلاثة اتجاهات متعارضة متضاربة، ولم تبال بهذا التعارض كثيراً في سبيل تحقيق أهدافها والانتصار في الحرب.

### كان الاتجاه الأول التفاوض مع

الشريف حسين بن علي أمير الحجاز، فيما عُرف بمراسلات حسين - مكماهون Hussein-McMahon Correspondence، تموز/ يوليو 1915 - آذار/ مارس 1916، لدفعه لإعلان الثورة العربية على العثمانيين مقابل وعود باستقلال معظم المناطق العربية في جزيرة العرب وبلاد الشام والعراق تحت زعامته. وكان الكثير من رجالات العرب قد أصيبوا بالإحباط جرّاء سياسات الاتحاد



• الشريف حسين بن علي

والترقي، التي أفقدت الدولة العثمانية مصداقيتها الإسلامية، كما غضبوا لقيام جمال باشا الصغير والي سورية بتعليق العديد من القيادات العربية على أعواد المشانق في أيار/ مايو 1915، بالرغم من أن زعامات الجمعيات العربية كانت قد أعلنت في بداية الحرب تناسي خلافاتها مع العثمانيين، والوقوف إلى جانبها في محاربة "الكفار".

وقد تعمدت بريطانيا سياسة عدم الوضوح في تحديد التزاماتها، وضغط الشريف حسين على بريطانيا لتكون أكثر تحديداً، خصوصاً فيما يتعلق بحدود الدولة العربية المقترحة، فأرسلت بريطانيا في 1915/10/24 عدداً من التحفظات على الحدود، كمطالبتها بعدم ضمّ إقليميّ مرسين وأضنة، وكذلك المناطق التي تقع إلى الغرب من سناجق حلب وحمص وحماة ودمشق، بالإضافة إلى استمرار استعمارها لجنوب اليمن وإمارات الخليج العربي، ومطالبتها بوضع إداري خاص لجنوب العراق يكفل المصالح

البريطانية. وبالرغم من أن الشريف حسين كان يفهم أنه لا يستطيع تغيير شيء بالنسبة للبلدان العربية المستعمرة، كما عبر عن استعداده لمناقشة المصالح البريطانية في جنوب العراق، إلا أنه أصر على عروبة المناطق غربي مناطق حلب وحمص ودمشق (وهو ما فهم أن المقصود منها ما يعرف الآن بلبنان). وقد تمّ الاتفاق على ضرورة المسارعة في إعلان الثورة على أن تتم مناقشة الأمور المعلقة بعد انتهاء الحرب. فقام الشريف حسين بإعلان الثورة في الحجاز في 10/6/1916 وتحالف علناً مع البريطانيين، وأيدته في ذلك الجمعيات العربية، التي كان لها نفوذ قوي خصوصاً في بلاد الشام، كالعربية الفتاة واللامركزية والعهد.

أما الاتجاه البريطاني الثاني فكان التفاوض مع فرنسا (انضمت بعد ذلك روسيا للمفاوضات) بشأن مستقبل العراق وبلاد الشام. وقد تمّ الاتفاق فيما يعرف باتفاقية سايكس-بيكو Sykes-Picot Agreement في أيار/مايو 1916 على إعطاء البريطانيين معظم العراق (مقارنة بحدوده الحالية) وشرقي الأردن ومنطقة حيفا في فلسطين، أما لبنان وسورية فتوزعان تحت الاستعمار الفرنسي. ونظراً لرغبة كافة الأطراف في استعمار فلسطين فقد اتفق على أن توضع تحت إشراف دولي.

وكان الاتجاه البريطاني الثالث هو التفاوض مع المنظمة الصهيونية العالمية حول مستقبل فلسطين. وقد دفعهم إلى ذلك حاجتهم الماسة لاستخدام النفوذ اليهودي في الولايات المتحدة لدفعها للمشاركة في الحرب إلى جانب بريطانيا وحلفائها (وهذا ما حدث فعلاً في آذار/مارس 1917)، بالإضافة إلى وجود النفوذ اليهودي الصهيوني في بريطانيا وفي الحكومة البريطانية نفسها، من خلال وزير الداخلية اليهودي الصهيوني هيربرت صمويل Herbert Samuel، والنصارى المتصهينين مثل رئيس الوزراء لويد جورج Lloyd George، ووزير الخارجية آرثر جيمس بلفور Arthur James Balfour.



• هيربرت صمويل

هذا بالإضافة إلى ما أشرنا إليه سابقاً من دوافع وخلفيات دينية وسياسية واستراتيجية.... وكانت النتيجة صدور تصريح بلفور الذي اشتهر بـ "وعد بلفور" في

1917/11/2 بتعهد بريطانيا بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. وقد كان هذا من أغرب الوعود في التاريخ الإنساني، فبالإضافة إلى تعارضه مع المعاهدات الأخرى، فقد تجاوز بصلف وغرور رغبات وأماني أصحاب البلاد الشرعيين، وتعهد أن يعطي أرضاً لا يملكها، بل ولم يكن قد احتلها بعد، إلى أناس لا يستحقونها، وكان ذلك في ذروة الحديث عن الشرف البريطاني، والدفاع عن القيم والمبادئ.



• جورج بيكو

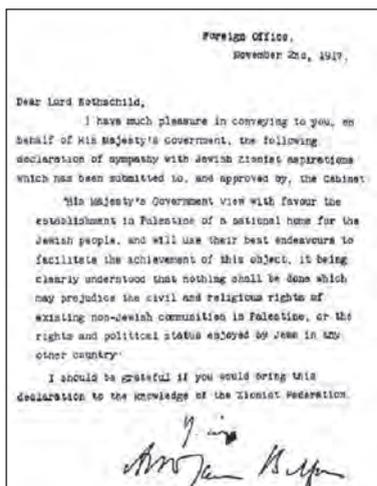


• مارك سايكس



مترجم عن الأصل، الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية PASSIA - القدس.

• خريطة اتفاقية سايكس - بيكو

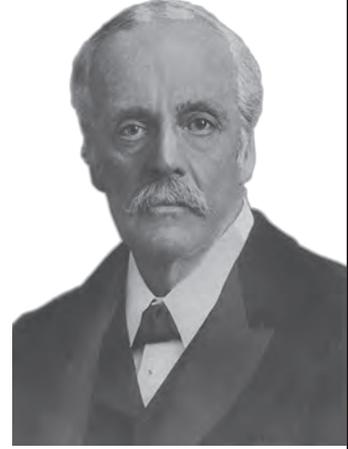


• وعد بلفور

لم تبقَ اتفاقية سايكس-بيكو طيّ الكتمان، إذ قام الروس بكشفها بعد أن استطاعت الثورة الشيوعية القضاء على الحكم القيصري في روسيا في تشرين الأول/ أكتوبر 1917، وأعلنت انسحابها من الحرب. كما عرف الناس مبكراً بوعد بلفور الذي لم يعد سراً، بعد أن وصل للصحافة في البلاد العربية، مصر بالتحديد، بعد أقل من أسبوع من صدوره. وقد كان ذلك صدمة كبيرة للثورة العربية، إذ لم يتخيل الثوار أبداً هذه

الدرجة من الخداع البريطاني، ولذلك رفض جنود الثورة العربية الاستمرار ما لم توضح الأمور، فأرسلت بريطانيا إمعاناً في التضليل أحد مبعوثيها، ديفيد هوجارث David Hogarth، في كانون الثاني/ يناير 1918 لطمأنة الشريف حسين، حيث حمل تصريحاً بريطانياً بأن الهجرة اليهودية لفلسطين لن تتعارض مع مصالح السكان السياسية والاقتصادية. ومن جهة أخرى، حمل التصريح البريطاني إلى القياديين السوريين السبعة في حزيران/ يونيو 1918 تأكيدات واضحة على أن الأرض التي يحتلها البريطانيون (جنوب فلسطين وجنوب العراق) سوف تحكم وفق رغبات السكان، بالإضافة إلى الموافقة على استقلال ما كان ما يزال تحت السيادة العثمانية من شمال فلسطين وشرقي الأردن وسورية ولبنان وشمال العراق. وعندما انتهت الحرب العالمية صدر التصريح الإنجلو-فرنسي في 1918/11/7 بتأكيد التعهدات للعرب الذين كانوا تحت الحكم العثماني في الحرية والاستقلال<sup>40</sup>.

”بالنسبة لفلسطين، نحن لا نقترح حتى مجرد استشارة رغبات السكان الحاليين للبلد... إن القوى الكبرى الأربع ملتزمة بدعم الصهيونية. وسواء أكانت الصهيونية على حق أو باطل، حسنة أو سيئة، فإنها عميقة الجذور في التقاليد، وفي احتياجات الحاضر، وأفاق المستقبل. وأعظم بكثير من ظلمات ورغبات 700 ألف عربي يسكنون الآن في هذا البلد القديم“.



• آرثر جيمس بلفور



< من مذكرة وزير الخارجية البريطاني بلفور إلى اللورد كيرزون Lord Curzon، في 1919/8/11، والمحفوظة في الأرشيف الوطني البريطاني .F.O. 371/4183

• اللورد كيرزون



## هوامش الفصل الأول

- <sup>1</sup> لمزيد من التفصيل حول تاريخ فلسطين القديم، انظر مثلاً: محمد أديب العامري، **عروبة فلسطين في التاريخ** (صيدا - بيروت: المكتبة العصرية، 1972)؛ و**الموسوعة الفلسطينية**، إشراف أحمد المرعشلي (دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984)، ج 1، ص 37، وج 3، ص 273-279، وج 4، ص 174.
- <sup>2</sup> انظر: **الموسوعة الفلسطينية**، ج 1، ص 117-129.
- <sup>3</sup> سورة المائدة: 21.
- <sup>4</sup> سورة الإسراء: 1.
- <sup>5</sup> سورة الأنبياء: 81.
- <sup>6</sup> رواه البخاري ومسلم وابن ماجه وأبو داود.
- <sup>7</sup> حديث حسن، رواه الطبراني.
- <sup>8</sup> حديث صحيح، رواه الإمام أحمد في مسنده، وابن ماجه في سننه.
- <sup>9</sup> حديث صحيح، رواه الطبراني.
- <sup>10</sup> حديث صحيح، أخرجه الحاكم، وأبو نعيم في الحلية.
- <sup>11</sup> رواه الطبراني، وقال الهيثمي فيه أرطأه بن المنذر، وبقية رجاله ثقات.
- <sup>12</sup> ورد حديث رواه الإمام أحمد بهذا المعنى. ونصه "لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قالوا يا رسول الله: وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس"، ورجاله ثقات إلا مهدي بن جعفر الرملي، فقد وثقه ابن حبان ويحيى بن معين، وضعّفه البخاري.
- <sup>13</sup> انظر: القدس: مكانتها في الوجدان الديني اليهودي، في عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، المجلد الرابع (دار الأمل، 2018)، انظر: <http://www.elmessiri.com/encyclopedia/JEWISH/ENCYCLOPID/MG4/GZ1/BA07/MD23.HTM>
- <sup>14</sup> انظر: **الموسوعة الفلسطينية**، ج 3، ص 271-279، و666-670.
- <sup>15</sup> سورة المائدة: 24.
- <sup>16</sup> حول تاريخ بني إسرائيل القديم المشار إليه في الفقرات السابقة، انظر مثلاً: ظفر الإسلام خان، **تاريخ فلسطين القديم 1220 ق.م - 1359 م: منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي**، ط 4 (بيروت: دار النفائس، 1984)؛ و**الموسوعة الفلسطينية**، ج 1، ص 238، وج 3، ص 184-186، و266-268، وج 4، ص 216-218.
- <sup>17</sup> حول فتح فلسطين وبلاد الشام، انظر مثلاً: الأزدي، **تاريخ فتوح الشام**، تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر (القاهرة: مؤسسة سجل العرب، 1970)؛ وأحمد عادل كمال، **الطريق إلى دمشق** (بيروت: دار النفائس، 1980)؛ ومحسن محمد صالح، **الطريق إلى القدس**، ط 3 (لندن: فلسطين المسلمة، 1998)، ص 49-77.
- <sup>18</sup> انظر نصّ العهدة العمرية في: محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعارف، 1969)، ج 3، ص 418.
- <sup>19</sup> حول فلسطين في عهد الراشدين والأمويين والعباسيين والفاطميين والأيوبيين، انظر مثلاً: **الموسوعة الفلسطينية**، ج 3، ص 242-266، و426-428.
- <sup>20</sup> ناقشنا في كتابنا الطريق إلى القدس في الفصل الثالث بالتفصيل جهاد المسلمين لتحرير فلسطين من الصليبيين والتتار، انظر: **الطريق إلى القدس**، ص 89-128.

- <sup>21</sup> حول الصحابة والتابعين ورجال الإسلام الذين عاشوا في فلسطين، انظر مثلاً: ضياء الدين محمد المقدسي، **فضائل بيت المقدس**، تحقيق محمد مطيع حافظ، سلسلة فضائل الشام رقم 2 (دمشق: دار الفكر، 1985)، ص 90-92؛ ومصطفى مراد الدباغ، **القبائل العربية وسلاسلها في بلادنا فلسطين** (بيروت: دار الطليعة، 1979)، ص 47-48، و111-113، و138-140، و188؛ ومصطفى مراد الدباغ، **من هنا وهناك** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1986)، ص 80-83، و112.
- <sup>22</sup> سورة آل عمران: 67-68.
- <sup>23</sup> سورة البقرة: 132.
- <sup>24</sup> سورة البقرة: 124.
- <sup>25</sup> حول يهود الخزر، انظر مثلاً: أسماء فاعور، **فلسطين والمزاعم اليهودية** (بيروت: دار الأمة، 1995)، ص 235-241.
- <sup>26</sup> حول هذا الموضوع، انظر: ريجينا الشريف، **الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي**، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز، سلسلة عالم المعرفة رقم 96 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، كانون الأول/ديسمبر 1985).
- <sup>27</sup> حول هذا الموضوع، انظر: عبد الوهاب المسيري، **الأيديولوجية الصهيونية**، سلسلة عالم المعرفة رقم 60-61 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، كانون الأول/ديسمبر 1982 - كانون الثاني/يناير 1983)، ج 1، ص 89-116؛ وأسد عبد الرحمن، **المنظمة الصهيونية العالمية 1882-1982** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990)، ص 23-26.
- <sup>28</sup> عبد الكريم رافق، **فلسطين في عهد العثمانيين (2)**: من مطلع القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي إلى العام 1326هـ / 1918م، في: **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني (بيروت: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1990)، المجلد الثاني، ص 854.
- <sup>29</sup> انظر مثلاً: ريجينا الشريف، **مرجع سابق**، ص 106-110؛ و**الموسوعة الفلسطينية**، ج 2، ص 279.
- <sup>30</sup> Albert H. Hyamson, *Palestine Under the Mandate 1920-1948* (Great Britain: Methuen, 1950), p. 7.
- <sup>31</sup> انظر: ريجينا الشريف، **مرجع سابق**، ص 79-81؛ وأسد عبد الرحمن، **المنظمة الصهيونية العالمية**، ص 27-30.
- <sup>32</sup> حسان حلاق، **موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897-1909**، ط 2 (بيروت: الدار الجامعية للطباعة والنشر، 1980)، ص 82-84.
- <sup>33</sup> سمير أيوب، **وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني** (بيروت: دار الحدائق للطباعة والنشر، 1984)، ج 1، ص 280.
- <sup>34</sup> انظر: حسان حلاق، **مرجع سابق**، ص 101-105.
- <sup>35</sup> انظر: وليم فهمي، **الهجرة اليهودية إلى فلسطين** (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974)، ص 36. وقد قدرّت مراجع أخرى عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين خلال الفترة 1882-1914 بنحو 55-70 ألفاً، انظر مثلاً: صبري جريس وأحمد خليفة (محرران)، **دليل إسرائيل العام** (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1996)، ص 40.
- <sup>36</sup> سمير أيوب، **مرجع سابق**، ج 1، ص 128.
- <sup>37</sup> انظر: صالح أبو يصير، **جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن** (بيروت: دار الفتح، 1970)، ص 33.
- <sup>38</sup> عجاج نويهض، **رجال من فلسطين** (بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، 1980)، ص 326-327.
- <sup>39</sup> حول هذا الموضوع، انظر: عبد الوهاب الكيالي، **تاريخ فلسطين الحديث**، ط 9 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1985)، ص 37-67.

<sup>40</sup> حول المفاوضات والوعود البريطانية مع الشريف حسين، والفرنسيين، والمنظمة الصهيونية العالمية، انظر: المرجع نفسه، ص 72-84؛ وتقرير اللجنة الملكية: الكتاب الأبيض رقم 5479، النسخة العربية الرسمية، إصدار حكومة الإنتداب البريطاني في فلسطين (القدس: 1937)، ص 23-31 (اشتهر هذا التقرير باسم تقرير بيل). وانظر أيضاً:

George Antonius, *The Arab Awakening* (London: Hamish Hamilton, 1955), pp. 260-272.

## The Palestine Issue: Historical Background and Contemporary Developments



### هذا الكتاب

يحاول هذا الكتاب تقديم صورة شاملة عن القضية الفلسطينية من خلال استعراض خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة.

ويستعرض الكتاب، بأسلوب علمي موثق وبلغة سهلة، ويشكل مُركَّباً ومختصراً تاريخ فلسطين في عصورها الأثيرة مروراً بالعهد الإسلامي، وخلفيات نشوء المشروع الصهيوني، ومرحلة الاحتلال البريطاني لفلسطين، وقيام الكيان الإسرائيلي، ويدرس ظهور القضية الفلسطينية وتطورها، مسلطاً الضوء على خفاج الشعب الفلسطيني وانخفاضاته وثوراته، ودور منظمة التحرير الفلسطينية وقصائلها، ودور التيار الإسلامي الفلسطيني.

ويعطي الكتاب تركيزاً خاصاً على العقدين الأولين من القرن الحادي والعشرين، ليتحدث القارئ الكريم من استجداء الكثير من النقاط المتعلقة بالواقع المعاصر للقضية.

ويأتي الكتاب في طبعة مزيّدة ومنقحة تغطي الفترة حتى سنة 2021، كما يأتي مدعماً بالصور والخرائط التوضيحية.

ويعُدُّ هذا الكتاب مصدراً مهماً للقراء الذين يريدون التعرف بشكل عام على القضية الفلسطينية، وإدراكها بشكل علمي متوازن، وبما يُشكِّل مدخلاً لمن يحب بعد ذلك الدخول في التخصص والتفصيلات.

ISBN 978-9953-0-10-1



9 786144 940181



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

Al-Zaytoonah Centre for Studies & Consultations

ص.ب.: 14-5034 بيروت - لبنان

للتفون: 1 803 644 | للتفاكس: 1 803 643

info@alzytoonah.net | www.alzytoonah.net

